بسملة

إلى مَن يتنزّلُ الأمرُ في ليلة القَدر؟

■ الشيخ حسين كوراني

الشّهيدان الشّيخ محمّد سعيد البوطيّ، والشّيخ حسن شحاتة، شاهدان على أنّ وحدة الأمّة في مرحلة متقدّمة جدّاً، رغم غابة الرّايات و«الفتاوى» والادّعاءات.

منذ رفع الإمام الخمينيّ أذان الصّحوة واليقظة بدأ الجسد الواحد المزّق يتعافى. تراخت قبضة الأخطبوط الأميركيّ حتّى أصبح حائراً بخنجره الصّهيونيّ المسموم الذي تحوّل عبئاً على كلّ الغرب الذي زرعه في جسد الأمّة وبعض الشّرق الذي تحالف معه وربطَ مصيره به.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران:١٩٦-٢٠٠.

لا تغرّنك حَشْرَجاتُ الوهّابيّة وكلّ التّكفيريّين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ الأحزاب:٤٧-٤٨.

***

ليلة القدر وتنزُّل الملائكة فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر، من الثّابت الذي لا يتحوّل ما دامت السّماءُ والأرض.

نضع هذا الثّابت بإزاء ثابتٍ آخر مُجْمَعٍ عليه بين المسلمين هو: «وجودُ مؤهَّلٍ للتّمسُّك به من أهل البيت في كلّ عصر» -حسب تعبير الحافظ الهيتميّ في (الصّواعق المحرقة)- هذا المؤهَّل للتمسُّك به هو المطلوب من كلّ مسلمٍ بيعتُه، وهو إمام الزّمان الذي مَن لم يعرفه «**فَميتتُه جاهليّة**».

نستنتج إجماع الأمّة النّظريّ على أنّ الأمر يتنزّل في ليلة القدر على إمام الزّمان من أهل البيت عليهم السلام، الذي هو أحدُ الخلفاء الاثني عشر المُجمَع على عددهم.

هذا المجمع عليه نظريّاً هو الذي قطعت الأمّة في رحابه أشواطاً عمليّة حين توحّدت كلمتها على الإصرار على أن تمضي قدُماً في رحلة تعافي الجسد الواحد، فأضعفت الأمّةُ الهيمنة الأميركيّة، ولفظَ جسدُها أكثر الخنجر- الغدّة السّرطانيّة، وشرّد عدداً من أبرز الدّمى النّواطير.

يُمعنُ في التّيه مَن يظنّ أن تحصد الأمّة «**إنجازات العصر**» دون سيل الدّماء البدريّة الكربلائيّة.

ويُمعن في الضّلال البعيد مَن يظنّ أنّ الأمّة تعيش الانقسام والتّمزّق وقد دخلت أنفاق حروب الفِتن الطّائفيّة.

***

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ العنكبوت:٢-٣. [لا يُفتَنون = لا يُختبَرون]

في أبهى عصور الأمّة، مع سيّد النّبيّين كان الاختبار إلى حدّ الزّلزال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ

ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ البقرة:٢١٤.

وكان الفرُّ بعد الكرّ: ﴿ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَابَكُمۡۗ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ آل عمران:١٥٣.

وجاء النّصر رغمَ تعدّد المشارب والأطياف، ومظاهر القوّة والضّعف:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ آل عمران:١٥٤.

سُحُبُ الرّاهن وهمومُه الثّقال نتائجُ تلقائيّةٌ لما يتبخّر من قوى الشّيطان الأكبر وتَمظهراته، ولما يتصاعد من أنينه والحَسَرات. علينا أن نثقَ بما عند الله تعالى في طيِّ الغدِ الواعد أكثرَ من ثقتنا بالحاضر النّاجز الذي تجلّى معه قولُ السّيّدة زينب عليها السلام: «**ما رأيتُ إلّا جميلاً**..».

***

مفصلان، ينبغي أن تتضافرَ جهودُ الأمّة في تظهيرهما:

* ما يجري في العالم الإسلاميّ، هو بالتّأكيد، مواجهات الأمّة –شيعةً وسنّة– مع خوارج العصر. الأمّةُ كلُّها تلتزمُ سُنّةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وحبَّ أهل البيت ومشايعتَهم ومودّتَهم عليهم السّلام، والخوارج شيعة آل أبي سفيان، يتفانون في مودّتهم والاستنان بسُنّتهم.

والفرز قائمٌ متَسارعٌ بتصاعدٍ فَلَكيّ إلى حيث يُمكن القول: لم تشهد وحدةُ الأمّة في العصور الأخيرة يَقظةً وتماسكاً وتجذّراً كما تشهده في هذا العصر، والمقارنة بين حال الأمّة في بداية أحداث الشّام، وما هي عليه اليوم خيرُ دليل.

* تعميقُ الالتزام السّياسيّ لنهج إمام الزّمان الذي تجب بيعتُه على كلّ مسلم، وتظهيرُه. هذا شهرُ الله تعالى قد أظلّنا وهو شهر القرآن وليلة القدر وتنزُّل الأمر على صاحب الأمر، فمَن هو؟ وعلى مَن يتنزّلُ الأمر وإلى مَن؟

إنْ كان هو «**المهديّ المنتظَر**» فما هو الطّريق إليه، ومَن؟

وإن لم يكن هو، فمَن نبايع حتّى لا تفرَّقَ بنا السُّبُل؟

ما أمسَّ حاجة الأمّة، الواحدة التي تبلْورت وحدتُها في هذا العصر وتَجَوْهَرَت، إلى البحث الموضوعيّ والعمليّ عن «**إمام الزّمان**»؟

قال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام، لمَن سأله عن واجب مَن أدرك زمنَ غيبة المهديّ المنتظَر عليه السلام: «**إذَا أَدْرَكْتَ هَذَا الزَّمَانَ فَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاء: أَللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ. أَللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ. أَللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي**».